النعمة والحق

1994 3-4 Mar Apr

الأخبار السارة:

كيف الرجوع

لا قوة في أنفسنا:

أعرف شابًا طالما حاول أن يشبع فراغ قلبه بالمخدرات والخمر والجنس... إلخ. وذات يوم وجد هذا الشاب، نفسه في السجن بتهمة السرقة وهناك أتيحت له الفرصة ليفكر بعمق في حياته الماضية، فلقد نشأ بين أبوين يؤمنان بالمسيح، وقد عرف كل شيء عن الله وعن ابنه يسوع المسيح، عن الخطأ والصواب. وتأسف الشاب كثيرًا على ما فعل وندمم على الأذى الذي سببه للكثيرين. وخرج من السجن. إلا أنه عاد إلى ذات الحياة البائسة في الشر. فقُبض عليه وهو يسرق مرة أخرى وعاد إلى السجن حزينًا كسيرًا من جديد. وهناك قطع على نفسه عهدًا هذه المرة بألا يعود إلى حياة الشر هذه مطلقًا وليجتهد بأقصى ما يستطيع ليصبح إنسانًا " مستقيمًا" وبعد خروجه من السجن هذه المرة جاهد بشراسة لكي لا يقع مرة أخرى تحت سطوة المخدرات والسكر والجريمة. وعلى الرغم من محاولاته المستميتة هذه فإنه عاد ليجد نفسه في السجن متهمًا للمرة الثالثة.

ومن يستطيع أن ينقذ؟

وفي النهاية برزت أمامه الحقيقية، فليس بإمكانه تغيير نفسه بنفسه، إذ أن الإنسان ضعيف لا يقوى على ذلك. وفي يأس صرخ إلى الله طالبًا المعونة، وتحول بقلبه إلى الرب يسوع معترفًا له بخطاياه، ومسلمًا له حياته بالكامل كالرب والسيد، لقد تاب أخيرًا! إن التوبة ليست مجرد شعور بالأسف على ما عملت، وليست قلبًا لصفحة جديدة أو تحسينًا لأخلاقيات رديئة، بل هي تحول إلى الله بشعور من الحزن والأسى على ما أوصلتنا إليه الخطية، معترفين أمامه بذنبنا، مدركين أننا قد أخطأنا في حق الله القدوس أولا وقبل كل شيء. وهنا يتغير أمامه اتجاه القلب والفكر، ونتحد بالله في إدانه أنفسنا، وهنا – وهنا فقط – يتدخل الله ويجري التغيير المعجزي في حياتنا.

عزيزي: إن الله مهتم جدًا بحياتك، وبمصيرك أكثر من اهتمامك أنت بنفسك، وهو يقول « توبوا وارجعوا لتُمحى خطاياكم» . ويقول الرب يسوع المسيح المخلص الوحيد «لم آت لأدعوا أبرارًا (أولئك الذين يظنون خطأ أنهم أبرار) بل خطاة (كل الذين يدركون حقيقة أنفسهم) إلى التوبة». وربما تشعر أن الكتاب المقدس يقول أن «الجميع أخطأوا» (رومية٣: ٢٣). ولا يوجد أمامك غير اختيار من إثنين: إما أن تقبل المسيح في قلبك فتخلص، أو لا تقبله الآن فتهلك. فما الذي يمنعك الآن من التوبة والإيمان؟ فالرب ينتظر رجوعك إليه باختيارك وهو يتأنى علينا «وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة» (٢بطرس٣: ٩)، لماذا إذًا لا ترجع إليه بقلبك الآن فتتمتع بالسلام والرضا الإلهي لأول مرة في حياتك؟

وثق أن الله يستطيع تغيير مسار حياتك الذي طالما فشلت أنت في تغييره!

تعالو إليه يا متعبين فعند المسيح ملاذ حصين

ولو ذوا بحضن حنون أمين فتحفظوا بدفء وصدر ضمين

ويعلو الجبين.... ويخبوالأنين

تعالوا.... تعالوا... تعالوا إليه أيا متعبين

الوصايا!

«لأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ» (يعقوب٢: ١٠)

وقف المبشر بين جمهور السامعين الكبير وقال في عظته: " والآن أرجو من جميع الذين حفظوا الوصايا العشر في حياتهم أن يقفوا ويغادروا القاعة" وأنتظر قليلًا فلم يخرج أحد. ثم عاد وقال " أرجو الآن من جميع الذين حفظوا خمسة من الوصايا العشر ان يغادروا المكان " وانتظر ثانية.. ولم يخرج أحد. وبعد برهة قال ثالثة" والآن إن وجد شخص واحد فقط قد حفظ وصية واحدة طوال حياته أرجو أن يقف ويغادر المكان"إلا أن الجميع ظلوا في أماكنهم. ويالها من حقيقة تنطبق على جميعنا! أسمعك تقول: لكني زوج أمين. ولكن آلم تسمع كلمات الرب يسوع «إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ» (متى٥: ٢٨)، بل وهل تحب الله من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك؟ وهل تحب قريبك مثل نفسك؟ إن هاتين الوصيتين يلخصان الوصايا كلها بحسب تعليم المسيح (لوقا١٠: ٢٧). يقينًا لو كنت أمينًا مع نفسك فإنك لابد ستقر بالحقيقة «الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ،» لكن تكلمة الآية تريك سبيل وطريق النجاة «إِذِ مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (رومة٣: ٢٣-٢٤). فليتك تأتي إلى المسيح الآن وقبل فوات الأوان.

دائمًا مع أبي:

د. بلاك طبيب ناجح ومرموق في مجتمعه، وهو أيضًا زوج صالح وأب ملتزم لاسيما تجاه ابنه " بوب". وهذا الطفل لا يفارق والده أبدًا من لحظة عودة الأب إلى المنزل، بل في بعض الأحيان كان يصحب الطبيب طفله اللطيف هذا في زيارته للمرضى فيروح عن هؤلاء المساكين ولو قليلًا.

ولكن كان هناك مكان واحد لم يذهب إليه الأب والابن معًا على الإطلاق، هذا المكان هو الكنيسة، إذ في صباح كل أحد كان بوب يذهب بصحبة والدته وشقيقته إلى الكنيسة، ولم يكن يصحبهم الأب بأي حال لأنه لم يكن مقتنعًا بجدوى الدين.

استمتع " بوب" بمدارس الأحد وأحب المدرس. وذات يوم كان الدرس بعنوان" بيتنا السماوي" وقد كان مشوقًا للأولاد جدًا، وثارت حوله أسئلة كثيرة منهم. وسأل المدرس " بوب" عندما تذهب إلى السماء، ما هو أول شيء ستراه هناك؟ تلعثم " بوب" ورد بهدوء " أنا لن أذهب إلى السماء.." ورد المدرس في دهشة " لماذا يا بوب؟ بكل تأكيد أنت تريد الذهاب إلى هناك، كل الأولاد والبنات يريدون ذلك". رد الطفل: كلا أنا أريد الذهاب مع أبي. أمي وشقيقتي ستذهبان للسماء ... أما أنا فسوف أذهب مع أبي، فنحن نذهب إلى أي مكان سويًا!"

وكم كانت هذه الإجابة مؤلمة لقلب المدرس!

وبعد يومين أو ثلاثة، وبينما كان هذا المدرس يعالج عند د. بلاك، أبو الولد، قص عليه هذه الواقعة. وفي البداية حاول الطبيب أن يضحك على هذا الموقف إذ حسبه دعابة كبيرة، لكنه في الواقع كان يهتز في أعماقه ورد: نعم هذا هو بوب فعلًا، فهو دائمًا يريد أن يذهب إلى حيث أذهب أنا"

رد المدرس بسرعة: وأين ستذهب يل دكتور؟ وهنا أصاب سؤال الأخ المريض قلب الطبيب في الصميم، ولم يجد هذا الجراح الشهير مهربًا من تعليق ابنه الصغير هذا، وظل تعليق الولد على سؤال المدرس له، وسؤال المدرس للأب يطاردانه حتى انحني على ركبتيه في توبة حقيقية لله،

وقبل الرب الرب يسوع المسيح مخلصًا شخصيًا له، وأصبح في المسيح خليقة جديدة. وأصبح د. بلاك من الآن رفيقًا آمنًا للصغير " بوب".

وماذا بالنسبة لك أنت أيها القارئ العزيز؟ هل أنت رفيق" آمن" بالنسبة لابنك الصغير أو ابنتك؟ وإلى أين تقودهم؟ وإن كان طفلك يذهب معك في كل مكان، فإلى أي مكان ستصحبه في مصير أبدي مشترك؟

أيها الوالدون الأعزاء، رضيتم أم أبيتم، الحقيقة تقول أنكم تقودون صغاركم إما إلى المسيح والسماء، أو بعيدًاعن المسيح نحو الجحيم، فأنتم بمثابة مرشدين لهم بحسب ما تعلمنا كلمة الله.

ولكي تأخذ طريقك إلى السماء يقول الكتاب المقدس في ذلك بكل وضوح أنه يجب أن تعترف لله بخطاياك، وتقبل الرب يسوع المسيح مخلصًا شخصيًا لك، مؤمنًا بأنه قد مات من أجل خطاياك «فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ» (١بطرس٣: ١٨). وعندئذ تسمع قول الله لك «لاني عرفته لكي يوصي بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب» واعلم أنك إذا رفضت – أو أهملت – خلاص الله المجاني المقدم لك الآن فإن النتيجة ستكون مدمرة، وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت، الذي هو الموت الثاني. وكم يكون أمرًا مؤسفًا ومأساويًا للغاية أن يقول الله عن ابنك من بعدك «وعمل الشر في عيني الرب وسار في طريق أبيه وطريق أمه.. وأغاظ الرب ... حسب كل ما فع أبوه» (ملوك الاول٢٢: ٥٢-٥٣). ولك أن تختار «الَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ». (يوحنا٣: ٣٦). فإلى أين تقود أولادك أيها العزيز؟ بل وإلى أين تقود نفسك أنت؟؟؟ ليتك تعود إلى المسيح الآن بالتوبة والإيمان فتنال منه الترحيب والغفران، لبركتك الأبدية وبركة عائلتك أيضًا!.

دراسات مسلسلة بقلم: ايرونسيد

مصلين في الروح

٨- استجابات قضائية

نجد في الكتاب المقدس صورًا مؤلمة لما يحدث في بعض الأحيان عندما يكون هناك إصرار من جانبنا على طلبات معينة من الله، وهو له المجد في حكمته غير المحدودة لا يرغب في أن يمنحنا هذه الأمور لأن عنده أمورًا أفضل لأجلنا بما لا يقاس من تلك التي يمكن أن يصل إليها إدراكنا القاصر. لقد رأينا فيما سبق انه يمكننا أن نصلى في اسمه فقط عندما تكون لنا شركة معه، وعندما تسكن فينا كلمته بغني. عالمين انه مهما طلبنا من الآب فسوف نأخذ منه لأننا نفعل مشيئته ومرضيون عنده وقلة الثقة سوف تقودنا إلى أن نصلي لأجل أمور ستؤلمنا استجابتها دون أن ندري. وإذا لم ندرك هذا مع الوقت؛ او إذا لم تقترن صلواتنا بالحكم على الذات والخضوع لكلمة الله فإننا سنجد أن صلواتنا إذا أُجيبت فإن ذلك سيكون بسبب الضغط العميق من جانبنا، بل وستخلف لنا هذه الاستجابة الألم بعد ذلك. وشيء كهذا حدث قديمًا عندما تمرد بنو إسرائيل في البرية وألحوا في الصراخ لجل اللحم. وعندما يلخص كاتب المزمور اختباراتهم في البرية يخبرنا إنهم «أَسْرَعُوا فَنَسُوا أَعْمَالَهُ. لَمْ يَنْتَظِرُوا مَشُورَتَهُ. بَلِ اشْتَهَوْا شَهْوَةً فِي الْبَرِّيَّةِ، وَجَرَّبُوا اللهَ فِي الْقَفْرِ. فَأَعْطَاهُمْ سُؤْلَهُمْ، وَأَرْسَلَ هُزَالاً فِي أَنْفُسِهِمْ» (مز١٠٦: ١٣-١٥). لقد كان بوسع الإيمان أن يثق في عناية الله الكاملة، لقد كان على هذا الشعب أن يترك الأمر لله ليمده بنوع الطعام الذي يرى هو – تبارك اسمه – أنه مناسب لهم. لكنهم وضعوا شهوة قلوبهم على شيء محدد، وبدونه كانوا متأكدين أنهم لن يكونوا سعداء. وللوهلة الأولى لم يوجد شيء يبدو هامًا جدًا في الموضوع مثل الاستجابة لما يريدونه. فلم يقنعوا بالمن الذي من السماء والذي أعطاهم إياه الرب بوفرة كبيرة، فإنهم صرخوا قائلين: «مَنْ يُطْعِمُنَا لَحْمًا؟» وأيضًا «وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْفُسُنَا الطَّعَامَ السَّخِيفَ» (عد١١: ١٨؛ ٢١: ٥). ويخبرنا المرنم في مزمور آخر أن الرب: «أَهَاجَ شَرْقِيَّةً فِي السَّمَاءِ، وَسَاقَ بِقُوَّتِهِ جَنُوبِيَّةً. وَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ لَحْمًا مِثْلَ التُّرَابِ، وَكَرَمْلِ

الْبَحْرِ طُيُورًا ذَوَاتِ أَجْنِحَةٍ. وَأَسْقَطَهَا فِي وَسَطِ مَحَلَّتِهِمْ حَوَالَيْ مَسَاكِنِهِمْ. فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا جِدًّا، وَأَتَاهُمْ بِشَهْوَتِهِمْ» (مز ٧٨: ٢٦-٢٩).

وبلا شك فإن الكثيرين سوف ينظرون لذلك على اعتبار أنه من أعظم الأدلة على استجابة الله للصلاة. وإن الاستجابة في حد ذاتها برهان على صحة وملاءمة هذه الطلبة. على أن استخلاص نتيجة كهذه على أي الأحول لهو أمر بعيد جدًا عن الصواب، إذ أننا نقرأ في الأعداد التالية: «لَمْ يَزُوغُوا عَنْ شَهْوَتِهِمْ. طَعَامُهُمْ بَعْدُ فِي أَفْوَاهِهِمْ، فَصَعِدَ عَلَيْهِمْ غَضَبُ اللهِ، وَقَتَلَ مِنْ أَسْمَنِهِمْ، وَصَرَعَ مُخْتَارِي إِسْرَائِيلَ» (ع ٣٠، ٣١). والواقع أننا قد نأخذ ما نطلب، إلا أن هذا لا يشير في كل الأحوال إلى أننا طلبنا ونحن في الوضع الصحيح طلبات صحيحة. أو – من الجهة الأخرى – أن الله يسر بطلباتنا هذه وأنها بحسب مشيئته. وهذا الأمر صحيح تمامًا بالنسبة لنا نحن الآن كما كان في الماضي، فالله عندئذٍ يغضب ويعطينا ما نطلب بإلحاح وإصرار دون معرفة لمشيئته، ويرسل هزالاً في أنفسنا.

والخطأ غالبًا ما يكون في افتراض أنه أخذ الله على عاتقه إنجاح أمر ما نتعاطف معه بقلوبنا، فلابد بالضرورة وأن يكون هذا الأمر موافقًا لرأيه...إلا أن الظروف التي تلي الاستجابة ترينا بوضوح أن الله – ببساطة شديدة – قد يسمح لنا بأن نسلك في الطريق الذي أردناه حتى نتعلم درسًا من خلال حصادنا لما زرعناه، ويكون ذلك دليلاً على حمق إصرارنا على ما ليس لنا: «لذلك يقول الرب...»

مثل مؤلم آخر نذكره في هذا الصدد وهو حال إسرائيل عندما أرادوا ملكًا لأنفسهم، فلقد طلبوا بحرارة وإلحاح أن يصيروا مثل باقي الشعوب التي حولهم، وذلك بأن يكون لهم ملك يحكم عليهم، ويقودهم في المعارك. وقد أخذهم الله بكلمتهم وأعطاهم ملكًا وعندما رأوه امتلأوا سرورًا؛ فمظهره مظهر بطل نبيل، يرفع رأسه وكتفه إلى فوق، فوق الشعب وهكذا يكون القائد والمحارب بحسب فكر الإنسان. لكن الله الذي ينظر إلى القلب لا إلى المظهر الخارجي، عندما قدم إليهم هذا الملك بواسطة صموئيل النبي، كان يعلم تمامًا شخصية هذا الرجل الذي سيتهلل له الشعب وينصبونه ملكًا عليهم. ويقول الرب بعد سنوات من ذلك بواسطة هوشع: «هَلاَكُكَ يَا إِسْرَائِيلُ أَنَّكَ عَلَيَّ، عَلَى عَوْنِكَ. فَأَيْنَ هُوَ مَلِكُكَ حَتَّى يُخَلِّصَكَ فِي جَمِيعِ مُدُنِكَ؟ وَقُضَاتُكَ حَيْثُ قُلْتَ: أَعْطِنِي مَلِكًا وَرُؤَسَاءَ؟ أَنَا أَعْطَيْتُكَ مَلِكًا بِغَضَبِي وَأَخَذْتُهُ بِسَخَطِي» (هو١٣: ٩-١١) فهم في

طلبهم لملك كانوا في الواقع يرفضون الله الذي حكمهم وسار أمامهم حتى ذلك الوقت. إلا أن الرب اجابهم لطلبهم واعطاهم ملكًا بنفسه، واستخدم هذا الملك في تأديبهم وعقابهم. إنها حالة أخرى من الصلاة ذات الاستجابة القضائية؛ والتي فيها تعتبر الاستجابة في حد ذاتها قضاء من الله وتأديبًا.

وليس من المؤتمن قط أن نثق فيما يسميه البعض ''العناية الإلهية'' في حين نهمل نحن طاعة كلمة الله. ودعونا نستعرض مثالاً لذلك من الحياة العملية.

شابة مسيحية مؤمنة، ارتبطت عاطفيًا بشاب غير مؤمن وتمت خطبتها إليه. ولكن أصدقاءها من المؤمنين كانوا يصلون بلجاجة من أجلها كيما يتدخل الله بنفسه في الأمر لحمايتها من التورط في النير المتخالف، الأمر الذي كانوا متأكدين تمامًا من أنه سيجلب لها الأسى والمرار في حياتها. ولقد كان الأمر حساسًا أن يتناقشوا معها في ذلك؛ فقد كانت في الواقع تستنكر أي تدخل في شئونها الخاصة. وعلى أي حال لم يمضي وقت طويل وحدث جفاء بينهما، حتى أن الشاب بنفسه هو الذي قام بفسخ الخطبة.

لكن المؤسف في الأمر انه بدلاً من أن تفهم هذه الشابة أن ذلك كان هو طريق الله لإنقاذها مما كانت على وشك التورط فيه – بدلاً من ذلك حزنت بشدة وكانت تصلي نهارًا وليلاً كي يعود إليها خطيبها الذي أهانها، ولتعود خطيبة له من جديد. وقد فعل كل أصدقاءها واخواتها المؤمنين كل ما بوسعهم لشغل قلبها وعقلها باهتمامات أخرى، أو أن يبينوا لها أن الله عمل ذلك معها في رحمته المطلقة، ولم يعمل ذلك بأدنى مساعدة منها؛ إذ ان خطيبها هو الذي قام بفسخ الخطبة. إلا أنها استمرت في حزنها وأصرت على الصلاة لكي تنال اشتياق قلبها من الله. ومن المؤلم للغاية – وعلى غير المتوقع إطلاقًا – عاد إليها خطيبها، واعتبر نفسه ملامًا في الماضي وما حدث فيه وطلب تجديد الخطبة، وقد وافقت وهي في منتهي السعادة. وبعد فترة قصيرة تزوجا.

إلا أن أعوامًا من البؤس والأسى نتجت عن عدم طلعتها لكلمة الله. لقد كانت تصر في البداية على أن الله هو الذي استجاب صلواتها وأعاد إليها من تحب. إلا أن بغضة رجلها هذا للمسيح ولأمور الله كانت مخفية فترة من الزمن تحت غلاف خارجي رقيق، وهذه البغضة سرعان ما ظهرت على السطح. وقبل أن تمر فترة طويلة على زواجها حدث الانفصال، وتركها الرجل

تعيسة وبائسة مع طفلين صغيرين لتتحمل هي مسؤوليتهما. وهنا أدركت بعمق أن السنوات قد مرت على ظنها الخاطئ بأن الله أظهر موافقته على ما عملت حين استجاب صلواتها لكن يد الرب المؤدبة كانت عليها بسبب عملها ما تريد هي؛ بل وكانت استجابته هي التأديب ذاته.

وتتضاعف الأمثلة المشابهة لذلك بلا عدد في حياة العديد من أولاد الله. كنت في زيارة لأحد البيوت منذ عدة أعوام، وحيث كانت هناك أخت تعاني تحت ثقل وألم العناية بطفل معوق إعاقة شديدة، إلا أن هذا الولد عندما كبر لم يقدر أمه أو يحترمها ولو بقدر ضئيل. واخبرتني هذه الأخت أنه منذ عدة أعوام عندما كان ولدها – العاق والمعاق هذا – في ارجوحته أصيب بالمرض المسمى بالحمى القرمزية، وقد تركه الأطباء في النهاية بعد أن أوضحوا لها أنه لا أمل في شفائه. إلا أن قلبها لم يكن خاضعًا لذلك، لقد شعرت بأنها لا يمكن أن تدعه يذهب، خرت على ركبتيها وأخبرت الله أنها لن يمكنها قط أن تعود وتحبه مرة أخرى إذا أخذ هو طفلها منها! وفي خلال ساعة حدثت علامات على تحسنه، وعاد الولد الصغير إلى طبيعته مرة أخرى، إلا أنه لم يعد يذكر أمه بعد ذلك ولم يكن يقدرها، وقد أصبح قلبها بمرور السنين معطاء وخاضعًا، فقد ذهب منه كل تمرد وعدم رضى، إلا أنها قالت: ''كم كان من الأفضل كثيرًا لو أمكنني في ذلك اليوم أن أقول: لتكن مشيئتك''.

عندما تعترض طريق حياتنا أزمة ما، وتمتلئ نفوسنا بالحيرة والتساؤل عما هو أفضل، فإنه يكون من الحكمة دائمًا أن نتذكر أنس الروح القدس نفسه يسكن فينا – بحسب مشيئة الله – بأنات لا ينطق بها. والقلب عوضًا عن أن يصر على أن يعمل الله ما تريده الطبيعة البشرية فينا فإنه يصلي مع إرميا قائلاً: «عَرَفْتُ يَا رَبُّ أَنَّهُ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ طَرِيقُهُ. لَيْسَ لإِنْسَانٍ يَمْشِي أَنْ يَهْدِيَ خَطَوَاتِهِ. أَدِّبْنِي يَا رَبُّ وَلكِنْ بِالْحَقِّ، لاَ بِغَضَبِكَ لِئَلاَّ تُقْنِيَنِي» (إر١٠: ٢٣، ٢٤). ولن يوجد أمر واحد يمكن أن يزعزع ثقتنا في أن كل الأمور هي في يدي ذاك الذي يعتني بالتمام بكل واحد من خاصته، ذاك الذي أوضح في كلمته: «وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ» (رو٨: ٢٨).

غالبًا ما يكون علينا أن نعرف بالحق أن طرقه ليست ك طرقنا، لكنها تسمو عنها جدًا وبما لا يقاس. وعلينا في النهاية أن نحمده على كل ما يبدو محبط لنا، وذلك عندما نرى «عاقبة

الرب»؛ فهو عريسنا ونحن غرسه. وهو تبارك اسمه محل ثقة كاملة بالنسبة لنا في أنه يفعل الأفضل دائمًا لخاصته. إننا بالحق نكلفه الكثير جداً حتى نتوافق معه فيما هو لخيرنا الآن.

إن الموضوع يتعلق بتأديب الرب لتمر النفس في اختبارات نتعلم من خلالها الفشل المطلق للجسد وننظر كلية لله. ولا توجد اختبارات كهذه بدون قيمة حقيقية، وإذ ندرك هذا فسوف ننعم بالهدوء الداخلي، وسنصلي بخضوع متذكرين ما علينا أن نعمله. ولا يجب أن نفكر في تأديبه لنا على اعتبار أنه نوع من العقاب؛ بل بالحرى هي عملية تدريب وتهذيب للنفس، وهو يفعل هذا في محبة لا في غضب. وهدفه دائمًا هو بركتنا، وهذا يؤدي بنا إلى هذه الأقوال الثمينة: «وَلكِنَّ كُلَّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لاَ يُرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ. وَأَمَّا أَخِيرًا فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ بِرّ لِلسَّلاَمِ» (عب١٢: ١١).

فضة مصفاة بقلم: هاملتون سميث

كلام الرب

(أقرأ من فضلك مزمور ١٢)

يقف مزمور (١٢) على النقيض من (١١)، فبينما نرى في الأخير الشر عاملاً في الخفاء فإننا نراه في (١٢) يتفاخر بالعمل علانية. وقد يحدث الأمران معًا، فقد يعمل الشر في الخفاء على تقويض كل ما هو من الله، وفي ذات الوقت نراه يعمل في العلن، ظاهرًا في عصيان الإنسان وإباحيته.

وفي العدد الأول من (مز١٢) نجد التقي يستغيث بالرب، واضعًا أمامه شرور الزمان وهنا نجد النفس متأثرة «بانقراض التقي» – أولئك الذين يخافون الله، و انقطاع الأمناء من البشر أولئك الذين يمكن الوثوق بهم في مهام توصيل الحق وانتشاره بين أولاد الله.

وفي الأعداد (٢–٥) نجد كلمات الإنسان والتي تغاير حقيقته، وهي الكلمات المملوءة بتعظيم الذات والتفاخر بالإرادة الذاتية. فهم يبحثون عن مجدهم الشخصي عن طريق تملق الآخرين، والتباهي بأنفسهم متكلمين بالعظائم. برفضهم كل سلطان فائق يعبرون عن تمسكهم بإرادتهم الذاتية، فيقولون «من هو سيد علينا». ودائمًا وأبدًا فإن الإنسان الذي يطالب بالحرية بكل قوة، حرية الكلام وحرية التصرف لنفسه كما يشاء، فإن هذا الإنسان عينه نراه أول الرافضين لأن يتمتع الآخرون بحريتهم، وهذا النفاق هو ما يضايق التقي. ولكن على أي حال فإن التقي يدرك أن الرب سوف يتعامل مع الأشرار وسوف يحمي المسكين والمحتاج.

وفي (عددي ٦، ٧) نجد كلام الرب والذي يقف على النقيض التام من كلام البشر التافه والمتملق والمتفاخر. والتقي عنده كلام الرب النقي والذي لا يشوبه شائبة. وعن طريق الثقة الكاملة بهذا الكلام النقي، فإن البار يتيقن من أن الرب لابد وأن يحفظه من هذا الجيل الذي يتصف بانتشار روح الشر في ذلك الوقت، حتى ولو جال الشر يعبث فسادًا في كل مكان، في زمن تندر فيه التقوي وتُمجد فيه الرزيلة.

كلمة تحريض

تحريضات سباعية من كلمة الله (٨)

(١تس٦: ١٧-١٩)

«أَوْصِ الأَغْنِيَاءَ فِي الدَّهْرِ الْحَاضِرِ أَنْ لاَ يَسْتَكْبِرُوا، وَلاَ يُلْقُوا رَجَاءَهُمْ عَلَى غَيْرِ يَقِينِيَّةِ الْغِنَى، بَلْ عَلَى اللهِ الْحَيِّ الَّذِي يَمْنَحُنَا كُلَّ شَيْءٍ بِغِنًى لِلتَّمَتُّعِ وَأَنْ يَصْنَعُوا صَلاَحًا، وَأَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ فِي أَعْمَال صَالِحَةٍ، وَأَنْ يَكُونُوا أَسْخِيَاءَ فِي الْعَطَاءِ، كُرَمَاءَ فِي التَّوْزِيعِ، مُدَّخِرِينَ لأَنْفُسِهِمْ أَسَاسًا حَسَنًا لِلْمُسْتَقْبَلِ، لِكَيْ يُمْسِكُوا بِالْحَيَاةِ (الحقيقة)[1]»

كم نعظم نعمة الله التي جعلتنا «وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ» (رو٨: ١٧) فهذا هو غنى النعمة التي تفاضلت علينا جدًا (١تي١: ١٤). لقد بوركنا بكل بركة روحية في السماويات (أف١: ٣) له المجد إلى دهر الدهور آمين (٢تي٤: ١٨). على أنه في التدبير الحاضر – تدبير الكنيسة – لا يوجد لدينا وعد ببركات أرضية وفيرة، بل على العكس؛ فإن امتيازنا هو أن نسلك كما سلك ذاك – ربنا يسوع المسيح – (١يو٢: ٦) أثناء وجوده بالجسد على هذه الأرض.

إن جميع المؤمنين هم أغنياء جدًا روحيًا، كما وأن بينهم من هم أغنياء في «الدهر الآتي» (مز١٠: ٣٠، لو ١٨: ٣٠)، وذلك عندما تمتحن النار عمل كل واحد ما هو، وتعطي المكافآت لكل عمل بني على أساس صحيح (١كو٣: ١٤). أما في الدهر الحاضر. فالقديسون عامة لا غنى أرضي لهم، إلا أن هناك من يستثنيهم الرب في حكمته العالية من ذلك، فيعطيهم غنى ماديًا في الدهر الحاضر وهذه فئة من المؤمنين وهذه العطية الإلهية الممنوحة لهم هي بمثابة امتحان وتجربة لهم، فإن تجاوبوا مع هذه التحريضات الثمينة التي كتبت لهم في الأساس فطوبة لهم هنا وأمام كرسي المسيح أيضًا. ومما يؤكد لنا أن هذه فئة استثنائية هو أننا نذكر أن سيدنا المعبود نفسه قيل في أيام جسده له المجد «فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ» (٢كو٨: ٩)، ومكتوب أيضًا أن النساء كن « كُنَّ يَخْدِمْنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ» (لو٨: ٣) لك المجد يا سيدنا! وهكذا كان بولس أيضًا إذ كتب عن نفسه مع غالبية المؤمنين قائلاً « كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ، كَأَنْ لاَ شَيْءَ لَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ» (٢كو٦: ١٠). ويالها من كلمات مؤثرة تلك التي نقرأها له في (في٤: ١١-١٣)! وهذا هو حال السواد الأعظم من القديسين وتابعي المسيح وهكذا كان الحال مع تيموثاوس كما يمكننا أن

---

1) بحسب الأصل (أنظر ترجمة داربي وكذلك الترمة التفسيرية)

نستنتج بسهولة، إذ أن الرسول لا يقول له مثلاً "أوصيك مع جميع الأغنياء في الدهر الحاضر" بل « أَوْصِ(أنت) الأَغْنِيَاءَ فِي الدَّهْرِ الْحَاضِرِ». إذًا فتيموثاوس لم يكن منتميًا لفئة أغنياء الدهر الحاضر هذه من بين القديسين.

لكن من الجهة الأخرى فإن الغنى المادي عندما يعطيه الرب للمؤمنين فهو عطية (ع١٧). كما أنه اختبار لمن يعطي هذا الغنى، فهل سيدرك أن كل ما لديه هو من الرب؟ أم يظن أن هذا الغنى ملك شخصي له يتصرف فيه كيفما شاء؟ والمال ليس خطية في حد ذاته، إلا أن أصل كل الشرور يكمن في محبته (١تي٦: ١٠) سواء كان من يحب المال فقيرًا أم غنيًا ولنلاحظ أيها الأحباء أن الحديث في هذا الأصحاح موجه أساسًا إلى المؤمنين.

١. أن لا يستكبروا:

وهذه هي الوصية الأولى فالكبرياء هو أعظم الخطايا التي يمقتها الرب، بل وقد كانت هذه خطية الشيطان الأساسية (إش١٤: ١٣)، والكبرياء هي الفخ الشيطاني الذي يتعرض له بشدة أغنياء الدهر الحاضر من المؤمنين، ونحن نرى بالأسف حولنا من يزهون ويفتخرون بغناهم الزمنى! وكيف يمكن اجتناب الوقوع في هذا الفخ؟ إن هذا لن يحدث إلا عن طريق الشركة العميقة مع الرب وفهم أموره بطريقة سليمة، وأن كل الأشياء هي منه وبه له. له المجد (رو١١: ٣٦).

٢. ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى بل على الله الحي:

وإذا زاد الغنى حولنا ما أحرانا بألا نضع عليه قلبًا (مز٦٢: ١٠). الغنى المادي موجود؟ حسنًا فلنشكر الرب على ذلك، ولكن لنحذر من أن نلقي رجاءنا على غير يقينية الغنى (أو الغنى الغير اليقيني)، فالغنى المادي قد يذهب ويجيء فهو غير يقيني. وباطل هو للمؤمن أن يضع قلبه عليه، فهذا سيدفعه إلى محبة المال وبالتالي يطعن نفسه بأوجاع كثيرة (١تي٦: ٩)، بل ويصبح عبدا للمال وخادمًا له عوضًا عن الله (لو١٦: ١٣) يا ليتنا عوضًا عن أن نلقي رجاءنا على غنى هذا الدهر – الغنى الباطل الزائل – نلقي رجاءنا بالحري على الله الحي، عالمين أنه هو الذي يمنحنا كل شيء بغني للتمتع – ليس العالم ولا أي شخص – بل الله الحي! لنلقي رجاءنا على الصخر إذا لا على الرمل! لنطلب أولاً ملكوت الله وبره (أمور الله ذات القيمة الثابتة والثمينة)، وهذه كلها تزاد لنا! (مت٦: ٣٣).

٣. وأن يصنعوا صلاحًا:

وهي نتيجة تلقائية لعدم إلقاء الرجاء على الغنى الزمنى، إذ ستتجه الأفكار نحو أعمال الخير للآخرين ليس بهدف الشهرة والصيت – فهذه هي الكبرياء التي حذر منها الرسول منذ قليل (قارن مع مت ٦: ٣)، بل بهدف التخفيف عن آلام رفقائنا في درب الحياة. والتحريضان السابقان سلبيان (لا يستكبروا...لا يلقوا) وهنا يبدأ الرسول التحريضات الايجابية، بصنع الصلاح – عمل الخير والشفقة والاحسان «لِلْجَمِيعِ، وَلاَ سِيَّمَا لأَهْلِ الإِيمَانِ» (غل٦: ١٠).

٤. وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة:

وعليهم أيضًا ألا يكتفوا بصنع الصلاح وعمل الخير في مرات ومناسبات معينة، بل يا ليتهم يكونون بحق أغنياء في اعمال صالحة، يكثرون من ذلك بمواظبة وفرح. كما أن أعمال صالحة هنا تمتد لتشمل كل الأعمال التي يعملونها: يجب أن تكون صالحة وعادلة. فالغنى قد لا ينصف فقيرًا ضعيفًا مستندًا إلى أن أحدا لن يسائله، أو يتصرف برياء أمام الآخرين، ويُظهر أعمال الخير تملقًا واستجلابًا لكلمات الاطراء والمديح! الأمر الذي لا يليق إطلاقًا بسلوك القديسين. هذه ليست أعمالاً صالحة. يا ليت كل قديس أنعم عليه الرب بالغنى الزمنى المادي، يضع نصب عينيه أن يكون غنيًا في أعمال صالحة بالمقاييس الإلهية.

٥. وأن يكونوا أسخياء في العطاء:

أي أن عطاءهم لابد وأن يتناسب مع مقدرتهم المادية. والسخاء يعني: العطاء الوفير وهو صفة قد يتحلى بها الفقراء، فما أعجب ما نقرأ عن القديسين في فيلبي إذ يكتب عنهم الرسول قائلاً: «أَنَّهُ فِي اخْتِبَارِ ضِيقَةٍ شَدِيدَةٍ فَاضَ وُفُورُ فَرَحِهِمْ وَفَقْرِهِمِ الْعَمِيقِ» (٢كو٨: ٢). وكم كانت سخية تلك الأرملة الفقيرة والتي نقرأ عنها في (مر١٢: ٤١-٤٤)! فكم بالحرى يجب أن يكون سخاء الأغنياء! فإذ أن القديسين في كنائس مكدونية قد أعطوا أنفسهم أولاً للرب، فما كان أسهل عليهم أن يفيض وفور السخاء من قديسين فقراء فقرًا عميقًا! وهذا هو المهم في الموضوع، فليست المسألة كم نعطي بقدر ما هي كيف نعطي؟ نعطي بسخاء وبسرور؟ لقد لاحظ الرب تلك الأرملة الفقيرة وكيف أنها ألقت كل معيشتها لا الفضلات كما فعل الآخرون والذين لاحظهم الرب أيضًا! «هذَا وَإِنَّ مَنْ يَزْرَعُ بِالشُّحِّ فَبِالشُّحِّ أَيْضًا يَحْصُدُ، وَمَنْ يَزْرَعُ بِالْبَرَكَاتِ فَبِالْبَرَكَاتِ أَيْضًا يَحْصُدُ» (٢كو٩: ٦). كما يجب أن يكون العطاء لا بالاضطرار والاجبار، بل بالسرور والاختيار «لأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ» (٢كو٩: ٧). والمسألة مسألة القلب أولاً وأخيرًا هل نفسي بجملتها له أم لا؟ أحبائي في العهد القديم كانت هناك العشور وقد كانت توجه إلى اللاوي (من يخدم الرب متفرغًا لذلك) وللفقير والأرملة والغريب! المال

مال الرب، ونحن نعطيه للرب – الذي لا يبيت مديونًا لأحد – حاشا له فإنه «حَاشَا لِي! فَإِنِّي أُكْرِمُ الَّذِينَ يُكْرِمُونَنِي» (١صم٢: ٣٠). ونحن نعرف احتياج جميع هذه الفئات إليه. ياليت الرب يضع في قلوبنا أن نكون له بالتمام، وبالتالي يفيض وفور سخائنا جميعًا: فقراء كنا أم أغنياء!

٦. كرماء في التوزيع:

وردت هذه العبارة في الأصل ويكونوا على استعداد دائم لإشراك الآخرين في خيراتهم إن مشاعر الأنانية لا وجود لها في المسيحية وهكذا يجب أن يكون هناك كرم واستعداد لإشراك الآخرين في خيراتنا. هذه هي المسيحية الحقيقية، وهكذا كان الحال في عصر الرسل كان كل شيء بينهم مشتركًا (أع٢: ٤٤، ٤: ٣٢). كانت الأموال توضع عند أقدام الرسل ويُعاد توزيعها بحسب الاحتياجات! لنعلم يا أحبائي أن الرب عندما يعطي غنى يريد أن ينفق لمجده، في الخدمات المتنوعة التي تؤدى بأمانة لمجد اسمه، وللفقراء من شعبه وليس تكويمها والسعي في جلب المزيد منها دونما أدنى اعتبار للغرض الإلهي الحقيقي من إعطائها لنا – الأمر الذي نراه حادثًا حولنا بكل أسف! مما يجلب عدم الإكرام لشخصه ويولد مشاعر الجفاء بيننا وبين إخوتنا المعوزين، الذين لابد وإن نشعرهم بمحبتنا العملية من نحوهم (١يو٣: ١٨).

٧. مدخرين لأنفسهم أساسًا حسنًا للمستقبل لكي يمسكوا بالحياة (الحقيقية).

وهم إذا فعلوا كل هذا، فإنما يدخرون بذلك لأنفسهم – لا مبالغ إضافية في البنوك – بل أساسًا حسنًا للمستقبل. إنه رأس مال المستقبل فمن جهة عليهم المتاجرة بهذه الوزنة – وزنة الغنى – بنشاط لمجد السيد، وليظهروا جميع هذه الفضائل السامية والتي ما كانوا ليظهروها بدون ما أنعم به الرب عليهم. فيكون لهم بذلك كنز في السماء، وحيث لا يفسد سوس ولا صدأ ولا يسرق سارق (مت١٩: ٢١). ويقول الحكيم «اِرْمِ خُبْزَكَ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ فَإِنَّكَ تَجِدُهُ بَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ» (جا١١: ١). للمستقبل في السماء وأمام كرسي المسيح للمكافأة والغاية النهائية: «لكي يمسكوا بالحياة (الحقيقية)» التي لابد وأن نعترف بأنها أفلت من أيدي الكثيرين منا وخاصة في موضوع المال هذا! نعم الغاية هي التمسك بالحياة المسيحية الحقيقية كما يريدنا الرب له المجد أن نحياها، أن نعيش مختبرين مشيئته وإرادته الصالحة المرضية الكاملة من نحونا (رو٢: ١٢).

ليتنا نعيد تقييم أوضاعنا في ضوء مرآة الكلمة ونورها الفاحص!

مثل الغني الغبي (لوقا١٢: ١٦-٢١)

تحدثنا في العدد الماضي عن سبع مزايا لذلك الرجل موضوع المثل، نادرًا ما اجتمعت في انسان واحد. فهو غني من البداية، ثم حالفه الحظ فغلت أرضه. وهو مفكر، كما أنه نشط. ولقد اهتدى فعلًا إلى القرار الصائب. هذا بالإضافة إلى أنه شاب، كما أنه لم يكن بخيلًا على نفسه فقرر أن يسعد نفسه بلذائذ العيش ومتع الحياة.

والناس عادة يقولون عن شخص كهذا: إنه سعيد أو عصامي أو محظوظ .. لكن الله لم يقل عنه ذلك، بل قال صفة قد تبدو لنا غريبة مستبعدة.. «قال له الله يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك، فهذه التي أعددتها لمن تكون» ترى لماذا قال الله عن ذلك الرجل أنه غبي؟ لنتتبع سبعة أسباب واضحة في المثل تفسر لنا هذا.

السبب الأول: يقول المسيح «ففكر في نفسه» لا نقرأ على الأطلاق أنه استشار الرب بل اتكل على قلبه وفهمه. «اَلْمُتَّكِلُ عَلَى قَلْبِهِ هُوَ جَاهِلٌ» (أمثال٢٨: ٢٦). ويقول أيضًا «كف عن فطنتك». وأيضًا «تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ، وَعَلَى فَهْمِكَ لاَ تَعْتَمِدْ». (أمثال٣: ٥).

السبب الثاني: أنه فكر لنفسه: فهو لم يفكر فقط في نفسه، بل ولنفسه أيضًا، يقول الرب «إِنْسَانٌ غَنِيٌّ أَخْصَبَتْ كُورَتُهُ، فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ قَائِلاً: مَاذَا أَعْمَلُ، لأَنْ لَيْسَ لِي مَوْضِعٌ أَجْمَعُ فِيهِ أَثْمَارِي؟ وَقَالَ: أَعْمَلُ هذَا: أَهْدِمُ مَخَازِنِي وَأَبْنِي أَعْظَمَ، وَأَجْمَعُ هُنَاكَ جَمِيعَ غَلاَتِي وَخَيْرَاتِي، وَأَقُولُ لِنَفْسِي: يَا نَفْسُ لَكِ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ، مَوْضُوعَةٌ لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ.» هل لاحظت كيف كانت نفسه هي محور تفكيره؟ فهو لما فكر في نفسه قال لنفسه، واستخدم ضمير الملكية في أحاديثه مع نفسه. فيقول " أثماري" ، " مخازني" ، " غلاتي" ، " خيراتي".

ثم أنه يقول لنفسه " أبني مخازن أعظم وأجمع فيها جميع غلاتي وخيراتي. لن أترك منها شيئًا للفقير ولا للغريب ولا لليتيم ولا للأرملة. إنه لا يعرف في الوجود سوى نفسه وشعاره في الحياة كما قال مزمور ٤٩ «في حياته يبارك نفسه ويحمدونك إذا أحسنت إلى نفسك».

السبب الثالث: لغباء ذلك الإنسان هو أن نفسه أنسته لا إخوته في البشرية فقط بل أنسته الله أيضًا. وثروته الضخمة حجبت عنه رؤية الله. فإنه لما غلت أرضه وأتت بمحصول وفير، بدل أن يتجه أولًا إلى الله صاحب الخيرات ليشكره على مارزقه ويقول «بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ، وَلاَ تَنْسَيْ كُلَّ حَسَنَاتِهِ... الَّذِي يُشْبِعُ بِالْخَيْرِ عُمْرَكِ،». (مزمور ١٠٣: ٢-٥).

وهذا الرجل لما فكر في نفسه، فقد وصل إلى هذا القرار «أهدم مخازني وأبني أعظم منها» لاحظ انه لم يقل إن شاء الرب وعشنا. فهو كما قلنا نسي الله. فتمت فيه الكلمات الأسيفة: «أَيْضًا يَهْدِمُكَ اللهُ إِلَى الأَبَدِ. يَخْطَفُكَ وَيَقْلَعُكَ مِنْ مَسْكَنِكَ، وَيَسْتَأْصِلُكَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ. فَيَرَى الصِّدِّيقُونَ وَيَخَافُونَ، وَعَلَيْهِ يَضْحَكُونَ هُوَذَا الإِنْسَانُ الَّذِي لَمْ يَجْعَلِ اللهَ حِصْنَهُ، بَلِ اتَّكَلَ عَلَى كَثْرَةِ غِنَاهُ وَاعْتَزَّ بِفَسَادِهِ» (مز ٥٢: ٥-٧).

السبب الرابع لغباء ذلك الإنسان هو أن كل ثروته كانت على الأرض. فيقول: «وَأَبْنِي أَعْظَمَ، وَأَجْمَعُ هُنَاكَ جَمِيعَ غَلاَتِي وَخَيْرَاتِي،». ياله من غبي وضع كل البيض في سلة واحدة. وأية سلة؟ إنها السلة الضعيفة القاع. فهل الأرض هي المكان الذي فيه يضع الإنسان كنوزه؟ لماذا لم يستمع إلى كلمات المسيح في عظة الجبل، الذي قال: «لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُون بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ، وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ» (مت ٦: ١٩، ٢٠).

نعم لقد كوم ذلك الإنسان كنوزًا كثيرة للعالم الذي سيتركه فورًا ولم يأخذ معه شيئًا على الإطلاق للعالم الذي كان سيمضي إليه.

السبب الخامس لغباء ذلك الإنسان هو أنه قرر أن يقضي باقي عمره ويصرف كل الثروة في الأكل والشرب والمتع الدنيوية. إنه غباء بلا شك أن يعيش الإنسان ليأكل بدل أن يأكل ليعيش. إنه غباء أن نشبة الكلاب الشرهة التي لا تعرف الشبع وأن يقول أحدنا للآخر: «وَالْكِلاَبُ شَرِهَةٌ لاَ تَعْرِفُ الشَّبَعَ. وَهُمْ رُعَاةٌ لاَ يَعْرِفُونَ الْفَهْمَ. الْتَفَتُوا جَمِيعًا إِلَى طُرُقِهِمْ، كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى الرِّبْحِ عَنْ أَقْصَى. هَلُمُّوا آخُذُ خَمْرًا وَلْنَشْتَفَّ مُسْكِرًا، وَيَكُونُ الْغَدُ كَهذَا الْيَوْمِ عَظِيمًا بَلْ أَزْيَدَ جِدًّا» (إش ٥٦: ١١، ١٢). إنه غباء أن تصبح البطن إلهًا، وأن يصبح الإنسان عبدًا لجسده بدل أن يقمع جسده

ويستعبده كما يعلمنا الإيمان. إنه غباء أن يكون الجسد كل شيء بدلاً من أن يكون الجسد في خدمة النفس والروح ويكون الله سيدًا على هذه وتلك، على الجسد والنفس والروح معًا.

السبب السادس لغباء ذلك الغني هو أنه ظن أن الحياة طويلة فقال لنفسه لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة، ومن يضمن العمر ولو ليوم واحد؟ قال موسى رجل الله: «إِحْصَاءَ أَيَّامِنَا هكَذَا عَلِّمْنَا فَنُؤْتَى قَلْبَ حِكْمَةٍ» (مز ٩٠: ١٢). لم يقل موسى إحصاء سنينا علمنا، بل إحصاء أيامنا، فالحكيم هو من يحصي عمره باليوم. وهذا نفس ما قاله سليمان الحكيم في أمثال ٢٧«لاَ تَفْتَخِرْ بِالْغَدِ لأَنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مَاذَا يَلِدُهُ يَوْمٌ».

ولقد ترتبت على هذه الحماقة حماقة أخرى أكبر، فهو إذ ظن أن الحياة أمامه طويلة والوقت المديد، فإنه لم يستعد للأبدية ولا لمواجهة الله الذي تجاهله في حياته، ولم يمجده أو يشكره على خيره من نحوه، لقد مضى إلى الأبدية ليواجه الرب الذي لم يعتبر حقوقه قط إذ كان مشغولاً في تكويم الكنوز لنفسه على الأرض!! عزيزي: هل أنت مستعد الآن للقاء إلهك؟!

السبب السابع والخير لغباء ذلك الإنسان هو أنه ربط بين كثرة الخيرات التي في مخازنه وبين الراحة والأكل والشرب والفرح. هل الراحة في أمور الزمان؟ أيستطيع كل ما تحت الشمس أن يشبع قلب الإنسان أو يسعده؟!

عزيزي: اعلم يقينًا أن راحتك لا توجد إلا عند المسيح الذي نادى في يومه قائلاً: « تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ» (مت١١: ٢٨). إن شبعك وريك لا يوجدان سوى عند الرب يسوع الذي قال: « مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا» (يو٦: ٣٥). إن تنعمك وسرورك لا يتوافران إلا في علاقتك مع الرب المكتوب عنه: « أَمَامَكَ شِبَعُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ» (مز١٦: ١١).

ألا نحذر إنسان آخر القرن العشرين من أن يقع فيما وقع فيه هذا الغبي في القرن الأول. نعم ليحذر لئلا تخدعه أجهزته الحديثة في البيت أو العمل فيقول لنفسه: يا نفسي استريحي. وليحذر من المحلات التي تباع فيها المأكولات والمشروبات أصنافًا وأصنافًا! نعم ليحذر من أن يقول لنفسه: كلي واشربي. وليحذر من وسائل التسلية التي لا تنتهي من أن يقول لنفسه: افرحي واطربي. نعم ليحذر ليحذر لأننا جميعًا راحلون من هذا المكان!!

للمتجددين حديثًا

القيمة العظمى لدم المسيح

تشير الذبائح الحيوانية في العهد القديم بمنتهى الوضوح إلى انه بدون سفك دم لا توجد علاقة حقيقية بالله. لقد أوجدت الخطية حاجزًا بين الإنسان والله، ولا يمكن إزالة هذاالحاجز إلا بقوة دم من ذبيحة مقبولة لدى الله قبولًا تامًا. وجميع هذه الذبائح أشارت إلى مبدأ الله الواضح في العهد الجديد. «عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ، بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَل بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ» (١بطرس١٨- ١٩).

ويالها من قيمة غير محدودة تلك التي لذلك الدم الكريم! ويالها من بركة غير محدودة تلك التي تنالها أعداد لا تحصى من الخطاة الذين خلصوا بمقتضى نعمة الله. ودعونا فيما يلي نستعرض الآثار المدمرة والمرعبة للخطية، وأيضًا القيمة العظيمة لدم المسيح والتي تكفي لمحوها جميعًا.

(١) إن نجاسة الخطية شوهتنا ودنستنا جميعًا، ولذا فإن التطهير بدم المسيح أصبح بالنسبة لنا ضرورة حتمية. ولا يوجد شيء آخر بخلاف دمه يمكن أن يطهرنا من كل قذارة ودنس في نظر الله «ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية» (١يوحنا١: ٧).

(٢) والخطية في الأساس هي الإساءة في حق الله، وهي إهانة بالغة لشخصه السامي الرفيع ذي السلطان الفائق والقدرة العظيمة. ولذلك فإننا نحتاج بشدة إلى الغفران.. ومن المستحيل أن ننال الغفران إلا على أساس من الحق والعدل، إذ قد أسأنا جميعًا إلى خالق السماء والأرض. وهذا الأساس

هو دم المسيح الكريم، إذ أن الله يغفر لنا على أساس تقديره – تبارك اسمه – لقيمة وفاعلية دم المسيح. «الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا» (أفسس١: ٧)، «بدون سفك دم لا تحصل مغفرة» (عبرانيين٩: ٢٢)

(٣) كما أن الخطية قد أدخلت الإنسان إلى دائرة العبودية، فلقد استعبدت الخطية الإنسان بالكامل. ولذا فإن الفداء أصبح بالنسبة لنا ضرورة لا غنى عنها. وهؤلاء المستعبدون للخطية لابد وأن يُطلقوا أحرارًا، ويعودوا إلى الله عن طريق قوة عظمى وثمن كبير يدفع في ذلك. ولا يوجد من يمكنه تقدير عظمة هذا الثمن الواجب دفعه للفداء سوى الله نفسه. «لنا فيه الفداء بدمه» (أفسس١: ٧).

(٤) ومن النتائج المرعبة للخطية أيضًا: الإثم والعار. ولعلاجنا من ذلك نحتاج إلى التبرير والمؤمن الحقيقي الآن متبرر بدم المسيح، نظيف تمامًا من أية شبهة. لقد إستذنب البار لأجلنا، فقد أخذ له المجد مكاننا. إذ لم يكن فينا أي بر أو صلاح على الإطلاق. إنه إذًا تبرير الكامل ذلك المؤسس على تقدير الله لقيمة دم المسيح «فبالأولى كثيرًا ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به» (رومية٥: ٩).

(٥) ولقد أثرت الخطية أيضًا في ارتباطنا بعالم الشر، وانفصالنا عن هذا الارتباط الوثيق أمر ضروري. ولذلك فنحن في حاجة إلى التقديس بدم المسيح (التخصيص أو التكريس) لله من العالم ومن تجمعاته الشريرة؟

(٦) كما أوجدت الخطية العداوة بيننا وبين الله. ولذلك فنحن في أشد الاحتياج إلى السلام مع الله. ولا يوجد مجهود بشري يمكنه أن يصنع مثل هذا السلام، إذ أنه لا يتحقق إلا عن طريق المسيح – ابن الله الحي – إذ مكتوب: «عاملًا الصلح(السلام) بدم صليبه» (كولوسي١: ٢٠). وهذا هو

الأساس الوحيد لسلام الجنس البشري الساقط، وكل من يقبلون المسيح بالإيمان في قلوبهم ينالوا هذا السلام.

(٧) ويرتبط بهذا ارتباطًا وثيقًا حقيقة أن الخطية أوجدت فاصلًا ومسافة شاسعة بين الإنسان والله. فالإنسان في خطاياه لا يحب أن يفكر في الاقتراب إلى الله. لكن القرب إلى الله هو ما نحتاج إليهه بالفعل. وهذا يتحقق تمامًا بواسطة المسيح يسوع وحده، فقد قيل عن المؤمنين: وَلكِنِ الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، «أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ». (أفسس٢: ١٣).

(٨) ولأن الخطية قد أوجدت العبادة والخدمة الباطلة من أعمال ميتة في الإنسان من الخارج، فإن هذا يستلزم دم المسيح لتطهير الضمير لكي نقدم العبادة الحقيقية والخدمة الصحيحة لله. ولا يمكن لأي فرد أن يخدم الله فعلًا بأية وسيلة إلا بعد أن يستفيد عمليًا من دم المسيح الكريم المسفوك لأجله. «فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ ِللهِ بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَال مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللهَ الْحَيَّ!» (عبرانيين٩: ١٤)

(٩) كما أن الخطية جعلت من الإنسان عابدًا للأصنام، يعبد أي شيء وكل شيء عدا الله. ولا يوجد ما يغير هذه الحالة ويحولها إلى عبادة الله سوى دم المسيح. وبدون هذا الدم الكريم فإن الإنسان لا يمكنه على وجه الإطلاق الدخول إلى ذات حضرة الله الحي في سجود حقيقي. «فَإِذْ لَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِالدُّخُولِ إِلَى «الأَقْدَاسِ» بِدَمِ يَسُوعَ» (عبرانيين١٠: ١٩). وهذه بعض الأسباب الجوهرية التي تجعلنا نشكر الله بعمق على «دم كريم كما من حمل بلا عيب ودنس؛ دم المسيح» وهذا كله تختبره عمليًا كل نفس غالية تقبل المسيح بحق في قلبها مخلصًا شخصيًا لها.

تأملات هادئة بقلم: نيكولس

أحزان وأفراح

يقف تصرف مريم المجدلية على النقيض من تصرف التلميذين الآخرين الذين صاحباها إلى قبر المسيح في صباح القيامة المجيدة. فقلد أتت بها محبتها الشديدة لشخص الرب إلى البستان باكرًا جدًا، حيث يدفن سيدها ورجاء قلبها. ولدهشتها الشديدة وجدت الحجر مدحرجًا من على باب القبر، فأسرعت إلى بطرس ويوحنا. وعلى الرغم من أنهما تأكدا من حقيقة خلو القبر من جسد الرب، إلا أنهما – بكل بساطة – رجعا إلى مكانهما، ليبحثا عن العزاء بين الرفاق من البشر.

إلا أن مريم لم تفعل هذا! فقد كانت: «وَاقِفَةً عِنْدَ الْقَبْرِ خَارِجًا تَبْكِي» (يو٢٠: ١١) فها قلبها وقد أصابه الحزن الشديد، وصارت وحيدة في هذه الحياة إذ أن نور حياتها قد ذهب ولسان حالها: ''بدون من تحبه نفسي فإن العالم يصبح بالنسبة لي برية قاحلة موحشة''. وقد عبرت دموعها الغزيرة بقوة عن مدى الأسى والحزن الذي يعتمل في نفسها.

لقد صورت بصورة مدهشة كلمات الرب: «سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ، فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ» (لو٥: ٣٥). إذا رجعنا بالذاكرة إلى فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى، فإننا نلمس تصويرًا معبرًا عن هذه الحالة، فقد اجتمعت مجموعة من الضباط الأمريكان يتحدثون ويتسامرون في الصالة المشتركة مع الفرنسيين. وقد كانوا جميعاً يمزحون ويضحكون عدا شخص واحد، هو ضابط فرنسي شاب، جلس بمفرده صامتًا. وإذ لاحظ زملاؤه ذلك، قال له أحدهم ''هناك حفل راقص في النادي الليلة، هل ستلحق بنا هناك؟ !ولدهشة الجميع دفع الرجل الفرنسي المقعد من أمام المائدة، واغرورقت عيناه بالدموع وقال بصوت مرتعش خفيض: ''أنا أرقص، بينما تطأ أقدام الأعداء أرض بلدي؟! كلا أيها الرفاق، لا يوجد رجل فرنسي يمكنه أن يفرح أو يهنأ بينما الأعداء موجودون على تراب فرنسا إنني ألتمس منكم المعذرة، فلن أذهب معكم'' ثم ترك الحجرة مسرعًا وقد أخذت الدموع طريقها إلى خديه. ومن لا يتأثر بإخلاص ووفاء هذا الفرنسي الوطني؟ فبالنسبة له لم يكن هناك مجال للطرب والسرور بينما تقبع فرنسا تحت نير الاحتلال. أحبائي المؤمنين: وماذا عنا نحن؟ إن الشخص الفريد الذي اشترانا إلى الأبد لم يعدنا ببركات هنا، لا حاضرًا ولا مستقبلاً. آه، دعونا أيها الأحباء لا ننسي المرار والعلقم وسكرات الموت على الصليب. لقد أعطي هذا العالم لربنا المعبود مذودًا وصليبًا وفي النهاية قبرًا مستعارًا. لقد رفضه العالم ونبذه ولم يرحب به قط. ونحن؟ هل نجد سرورنا وشبعنا في عالم لم يجد سيدنا فيه

سروره أو شبعه؟ وهل يمكن أن نقنع بالاستقرار والراحة في ذات المشهد الذي رفض هو فيه رب المجد؟ أجل، فبالنسبة لقلب كقلب مريم المجدلية، كان كل ما تبغيه هو شخص الرب يسوع. لقد حسبت كل شيء خسارة من أجل فضل معرفته – تبارك اسمه – لذا فقد كان المشهد مأساوياً ومحزنًا بالنسبة لها. ولكن هناك أيضًا، وفي ذات المشهد؛ فرح وعيد، عندما ملأ حضوره إليها بعد ذلك بقليل؛ عندما ملأ ذلك قلبها بأفراح السماء. والقلب الذي لا يجد سروره في أمور هذا العالم يُدرك تمامًا معنى الغبطة والانشراح اللذين له مع السيد. يالها من أفراح لا توصف تلك التي تمتعت بها مريم عندما سمعت صوته – الذي طالما ألفته – يناديها باسمها! ومن خلال الشركة مع شخصه الكريم فهمت حينئذٍ وتعلمت المعنى الحقيقي للموت والقيامة. وتركت البستان والقبر الفارغ وهي مملوءة بأعظم الأخبار الطيبة التي يمكن أن تحملها الشفاه، وأصبحت مؤهلة لتعزية قلوب أولئك الذين كانت محبتهم للسيد أقل حرارة وغيرة.